١٩ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون او خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

فأجال فينا سقراط النظر ، كما هي عادته ، وقال باسماً : إن دليل العقل ناهض في جانب سمياس ، وإن في مهاجمته إياي لقوة ، فلماذا لا يتصدى منكم لاجابته من هو أقدر مني ؟ ولكن قد يحسن بنا قبل أن نجيبه ، أن نصغي كذلك لما يريد سيبيس أن يناهض به الدليل ـ وسيكون لنا من ذلك للروية متسع ، فاذا ما فرغ كلاهما من الحديث ، وبدا قولهما مستقيماً مع الحقيقة سلمنا لهما ، وإلاّ ، فلنا أن نؤيد الجانب الآخر ، وأن نناقشهما . قال : تفضل إذن فحدثني ياسيبيس ، أي مشكلة صادفتك فأتعبتك ؟

قال سيبيس : سأحدثك ـ إني لأشعر بأن التدليل لم يتزحزح عن موضعه ، فأنا مستعد أن أسلم بأن قد قام الدليل القاطع الوافي جداً ، إن جاز لي هذا القول ، على وجود الروح قبل حلولها في الصورة الجسدية . ولكني أرى أن بقاء الروح بعد الموت لا يزال يعوزه الدليل ، ولست أعترض في ذلك بما اعترض به سمياس ، لأنني لا أريد أن أنكر أن الروح أقوى من الجسد وأطول بقاء ، فعقيدتي أن الروح تسمو على الجسد في كل هذه النواحي سمواً بعيداً . وقد يخاطبني الدليل فيقول : حسناً إذن ، فلماذا تقيم على ارتيابك ؟ إذا رأيت أن الأضعف يظل باقياً بعد موت الانسان ، أفلا تسلم بأنه يتحتم أيضاً أن يبقى ما هو أطول بقاء خلال هذه الفترة نفسها ؟ ويجمل بي الآن أن أستخدم المجاز ، كما فعل سمياس ، وسأطلب اليك أن تنظر في استعارتي لترى هل جاءت ملائمة لموضوعها . أما المثل الذي سأسوقه فهو مثل نساج قديم ، يموت فيزعم بعض الناس بعد موته أنه لم يمت وأنه لابد أن يكون حياً ، ويستشهد على ذلك بالمطاف [1] الذي نسجه بنفسه وارتداه ، والذي لا يزال جيداً متيناً ، ثم يمضي فيسأل المرتاب من القوم .

هل الأنسان أطول بقاء أم المطاف الذي يُستخدم ويُرتدى ؟ فاذا ما أجيب بأن الأنسان أطول جداً في البقاء ، ظن أنه قد أثبت بذلك يقيناً بقاءَ الأنسان الذي هو أطول بقاءً مادام الأقصر بقاء لا يزال باقياً . ولكني أرجو أن تلاحظ يا سمياس أن ليست تلك هي الحقيقة ، وليس بخافٍ على الناس أن من يتحدث بهذا إنما ينطق هراء ، فحقيقة الأمر أن هذا النساج قد ارتدى ونسج كثيراً من هذه الأعطف ، ولئن كان قد أفنى كثيراً منها وعمّر بعدها ، إلا أن آخرها قد ظل بعد فنائه باقياً ، ولكن لا ريب في أن هذا أبعد جداً من أن يقوم دليلاً على أن الأنسان أقل من العطاف شأناً وأشد ضعفاً ، غير أنك تستطيع أن تعبر عن علاقة الجسد بالروح باستعارة كهذه ، فلك أن تقول بحق إن الروح باقية ، وإن الجسد بالقياس اليها ضعيف قصير الأجل ، فقد يقال عن كل روح أنها تُبلي أجساداً كثيرة ، وبخاصة إذا امتد بها أجل الحياة ، لأنه إذا كان الجسد يتحلل ويفنى في حياة الأنسان فالروح لا تني تنسج لنفسها لباساً جديداً ، وتصلح ما قد أصابه البلى ، فطبيعي إذن أن تكون الروح مرتدية آخر أثوابها حينما يدركها الفناء ، وذاك الثوب وحده هو الذي سيبقى بعد فنائها ، ولكن الجسد بدوره ، إذا ماتت الروح ، سيكشف آخر الأمر عن ضعف طبيعته ، فلا يلبث أن يدركه الفناء ، ولهذا لن أركن إلى هذا الدليل برهاناً على بقاء الروح بعد الموت ، لأنه إذا سلمنا فرضاً حتى بأبعد مما تؤكد أنت أنه في حدود الممكن ، فارتضينا ـ فضلاً عن اعترافنا بوجود الروح قبل الميلاد ـ أن أرواح طائفة من الناس لا تزال موجودة بعد الموت ، وأنها ستظل موجودة ، وأنها ستولد وتموت كرة بعد أخرى ، وأن في الروح قوة طبيعية ستقاوم بها حتى تولد مرات عدة ـ فقد نميل مع هذا كله الى الظن بأنها ستعاني من آلام الولادات المتعاقبة رهقاً قد ينتهي بها آخر الأمر الى السقوط في إحدى مرات موتها ، فتفنى فناء تاماً ، وربما خفيت عنا جميعاً هذه المرة التي يموت فيها الجسد ويتحلل ، والتي قد تؤدي بالروح إلى الفناء ، فليس يمكن لأحد منا أن تكون لديه عن ذلك خبرة [1] فان صح

(١) Coot

(١) يقول إننا حتى لو سلمنا بما يزعمه سقراط من أن الروح تظل باقية بعد انفصالها عن الجسد ، ثم تعود إلى الحياة مرة ثانية وثالثة ورابعة . فلا يبعد أن تهن وتضعف من هذه الولادات المتكررة فيصيبها الموت الأبدي =

هذا ، زعمتُ أن من يثق فى الموت فانما يثق وثوقاً غاشماً ، ما لم يكن قادراً على التدليل بأن الروح لا تخضع للموت أو الفناء إطلاقاً ؛ أما إن كان عاجزاً عن إثبات ذلك ، فمعقول ممن يقترب من الموت أن يخشى فناء الروح فناء تاماً عند انحلال الجسد

ـ فلما سمعنا منهم هذا القول ، أحسسنا جميعاً بالكآبة ، كما لاحظ بعضنا إلى بعض فيما بعـــد ، وأحسب أنه قد داخلنا الاضطراب والشك ، لا فيما سلف من دليل فحسب ، بل فى كل ما قد يجيء به الدهر من دليل ، لأننا ، وقد كنا من قبل نؤمن إيماناً راسخاً ، قد رأينا ذاك الايمان تنزعزع دعائمه ؛ فاما أننا لم نكن قضاة صالحين ، وإما أن العقيدة لم تقم على أساس صحيح

اشكراتس ـ إنى لأشاطرك إحساسك فى هذا ـ حقاً إنى لأشاطرك إياه يافيدون ، وقد همتُ ، وأنت تتحدث ، أن أستجيب نفس السؤال . أى دليل يمكن أن أومن به بعد اليوم ، فماذا عسى أن يكون أقوى فى الاقناع من تدليل سقراط ، وها هو ذا قد هبط إلى الجحود ؟ فياطالما فتنني فتنة عجيبة هـذا المذهب القائل بأن الروح هى الأنسجام ، ولم يكد يرد ذكره حتى عاودنى بغتة ، لأنه عقيدتى الأولى . وجدير بى الآن أن أعود فألتمس دليلاً آخر ، يؤكد لى بأن الروح لاتموت مع الأنسان عند موته . فأرجو أن تنبئني كيف مضى سقراط فى الحديث ؟ هل بدا كأنما يشاطركم احساسكم الكئيب الذى ذكرت ؟ أم أنه استقبل الاعتراض هادئاً ، فأجاب عنه جواباً وافياً ؟ أنبئنا بما وقع دقيقاً ما استطعت

فيدون ـ أى اشكراتس ، إنى ما فتئت معجباً بسقراط ، ولكنى لم أعجب به قط أكثر مما فعلت وقتئذ ، أما أنه استطاع الجواب فيسير ، ولكن ما أدهشنى أولاً هو ما تناول به كلمات الشبان من وداعة وغبطة واستحسان ، ثم سرعة إحساسه بما أحدثه الحوار من جرح وما واتته به لباقته من فنون العلاج . مثله فى ذلك مثل القائد الذى يستجمع جيشه وقد انهزم وانسحر ، ويحفز جنده أن يتابعوه فيعودوا إلى ميدان الحوار

اشكراتس ـ وكيف كان ذلك ؟

فيدون : ستعلم منى ، فقد كنت قريباً منه ، جالساً إلى يمينه على مقعد وطىء ، أما هو فقد استوى على سرير يرتفع كثيراً عن مقعدى ، وقد أخذ يداعب شعرى ، ثم مسح رأسى بيديه ، وصفف شعرى على عنق وقال : أى فيدون ! غداً ستُجَذُّ هذه الجدائل الجميلة فيما أظن

أجبت ـ نعم يا سقراط ، إنى أظن ذلك

ـ إنها لن تُجذَّ لو أخذت بنصحى

قلت ـ وماذا عسانى أن أفعل بها ؟

أجاب ـ إنى وإياك سنقطع اليوم جدائل شعرنا ، فلا نرجئها إلى غد ، لو كان هذا الحوار لنموت ، واستحال علينا أن نرده إلى الحياة مرة أخرى . وإنى لو كنتك ، ولم أستطع أن أثبتَ ضد سمياس وسيبيس ، لأقسمت ألا أرسل شعرى قط ، كما يفعل الأرجيفيون ، حتى أثير المعركة من جديد وأدحرها

(يتبع) زكى نجيب محمود

= فى مرة من مرات انفصالها عن الجسد ، دون أن نعلم نحن عن موعد هذا الموت الأبدى ، لأننا لا نعلم هل هذه الروح المينة فى هذا الجسد المين قد بلغ منها الأعياء مبلغاً سيؤدى بها الى الفناء التام عند فناء جسدها الذى تحل فيه أم أنها لا تزال بها بقية من قوة تستطيع أن تعيش بها حتى تعود إلى الحياة فى جسد آخر ، ونحن لا نعلم ذلك لأنه لم تسبق لنا تجربة نتعلم منها هذا الأمر . وبناء على ذلك لا يستطيع سقراط مثلا أن يجزم بأن روحه باقية بعد موته لأنها قد تكون فى هذا الدور الأخير وهو لا يعلم